دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة نحوية وصفية تطبيقية
المؤلف الرئيسي:	عثمان، الصادق علي وداعة
مؤلفين آخرين:	منير، عبدالجبار بلال(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 208
رقم MD:	564578
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية اللغة العربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، ألفاظ القرآن ، النحو العربي ، القواعد النحوية ، المدارس النحوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/564578

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الأول

التعريف بالقسم

تعريف أسلوب القسم

من الذين عرفوه الزمخشري حيث قال:(هو جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية ومن شأن الجملتين أن تنزلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشرط والجزاء)[١] ، وكذلك عرفه إبن مالك بأنه: جملة يُجاءُ بها لتوكيد جملة أخرى ، وترتبط إحداها بالثانيه إرتباط جملتي الشرط والجزاء وكلتاهما إسمية وفعلية ، والمؤكَّدة هي الأولي، والمؤكِّدة هي الثانية وهي المسماة جواباً[٢].

لذلك أجمع النحاة علي تعريف أسلوب القسم بانه : جملة موجبة تؤكد بها جملة موجبة أو منفية وترتبط إحداها بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء، وإجماعهم علي هذا جعل بعضهم لا يهتم بذكر تعريف لأسلوب القسم ، لأنه من الأمور المسلم بها والتي ليست محل خلاف كبير بين النحاة .

ذكر إبن خالويه أطراف أسلوب القسم بقوله : (وإعلم أن القسم يحتاج إلي سبعة أشياء : أحرف القسم ، والمُقْسَم ، والمُقْسَم به ، والمُقْسَم عليه ، والمُقْسَم عنده ، وزمان ، ومكان) [٣].

ويمكن توضيح أطراف القسم علي النحو الآتي :-

قال تعالي : ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ**﴾[٤]

١. فعل القسم : يحلف .
٢. حرف القسم : الباء .
٣. المُقْسَم : المنافقون ، دل عليه الضمير(واو الجماعة) .
٤. المُقْسَم به : لفظ الجلالة (الله) .
٥. المُقْسَم عليه : (ما قالوا) أي : ما قالوا سباً ولا شتماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خلواتهم.
٦. المُقْسَم عنده : الرسول صلي الله عليه وسلم .
٧. الزمان : إثر نقل حذيفة إلي الرسول صلي الله عليه وسلم سب المنافقين له ولأصحابه في خلواتهم ولعله وقت العصر لأنه الوقت الذي يحبذ فيه القسم والشهادة .
٨. المكان : مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم.

ويمكن تطبيق الذي استخلصناه من أقوال النحاة علي الآية السابقة كالآتي :-

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ج٩/ ص٩٠ ، ط/عالم الكتب ، القاهرة .

(٢) ابن مالك: شرح الكافية الشافية لجمال الدين أبي عبدالله بن مالك ج٢/ ص٨٣٤ . تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي ط/دار المأمون للتراث ، مكة المكرمة .

(٣) ابن خالوية : إعراب ثلاثين سورة من القرآن لأبي عبدالله الحسين بن احمد المعروف بابن خالوية / ص٣٧. ط/ دار الحكمة ، حلبوني، دمشق .

(٤) التوبة : الآية (٧٤).

١. الجملة الأولي : (المؤكِّدة) أي جملة القسم – يحلفون بالله .

٢. الجملة الثانية : (المؤكَّدة) أي جملة جواب القسم – ما قالوا .

وقد جاءت الجملتان فعليتان ، والرابط لفظ (ما) لأن جملة الجواب منفية .

المبحث الأول

الأصل الاشتقاقي لألفاظ القسم

١- مادة قسم (ق . س . م) [١] **:** لها معنيان رئيسيان هما :-

أ/ التجزئة والتفريق :-

وهو القِسْم (بكسر القاف وسكون السين) وجمعه أقسام وترجع إليه مشتقات عديدة منها : قسم الشيء من باب (ضرب) ، و قَسَّمه بالتضعيف : أي جزّاه وفرّقه، ومنه قوله تعالى:﴿ **فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا** ﴾[٢] ويكون بمعني : قدّر ونظر، كقولك : هو يقسم أمره أي : يقدّره ويدبّره وينظر كيف يعمل فيه .

قال لبيد :

فقولا له إن كان يقْسمُ أمْرَهُ * * * ألمّا يعظك الدهرُ أَمُك هَابِل[٣]

وإقتسم القوم الشيء بينهم أي: أخذ كلٌ واحد منهم نصيبه .

ب/ الحلف واليمين :-

وهو القَسَم (بفتح القاف والسين) وجمعه أقسام كسبب وأسباب ، ويستعمل منه الأفعال الآتية :-

١/ أقسم بالله إقساماً ، أي : حلف بالله حلفاً.

٢/ قاسمه ، أي :أقسم له أو شاركه في القسم ومنه قوله تعالي:﴿ **وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ**﴾[٤]

٣/ اقتسم ، يقال : اقتسم القوم أي : تحالفوا ومنه قوله تعالي : ﴿**كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ** ﴾[٥] وهم الذين تقاسموا وتحالفوا علي الكيد بالرسول صلي الله عليه وسلم ، وقيل : هم الذين جعلوا القرآن عضين : أى آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه[٦]

٤/ تقاسم القوم : أي طلب بعضهم القسم من بعض ومنه قوله تعالي : ﴿**قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ**﴾[٧] فهي بمعني الحلف .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب لجمال الدين محمد ابن منظور مادة (قسم)، ط/دار صادر، بيروت ، وانظر القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ، مادة (ق، س، م).

(٢) الذاريات : الآية (٥).

(٣) لبيد: ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص١٣١، ط/دار صادر، بيروت ، وقوله(أمك هابل) : دعاء عليه . كقولك : ثكلتك أمك . وأنظر : لسان العرب ج١٥/ص٢٠ .

(٤) الاعراف : الآية (٢٠).

(٥) الحجر : الآية (٩٠).

(٦) الآلوسي : روح المعاني لشهاب الدين محمود الآلوسي ج١٤/ص٨٠-٨٤، ط/دار الفكر، بيروت، انظر أقوال المفسرين في الآية.

(٧) النمل: الآية (٤٩).

٥/ القسامة : وتعنى اليمين ، يقول الراغب[١] : (إنّ القسم بمعني اليمين أصله من القسامة وهي: أيمان تقسم علي أولياء الدم إذا ادّعوا علي رجل أنه قتل صاحبهم ومعهم دليل دون البينة، فيحلفون خمسين يميناً تقسم عليهم ، فصار اسماً لكل حلف، فكأنه أى: (القسم) كان في الأصل تقسيم أيمان، ثم صار يستعمل في نفس الحلف والأيمان) [٢] والعلاقة بين هذين المعنيين الرئيسيين للقسم ، وثيقة الصلة قوية الرباط ، فما جعل القسم إلا للتفريق بين الحق والباطل ، وما التجُيء إليه إلا لتحديد الأنصباء وتوزيع الحظوظ ، والفصل بين الخصومات[٣].

٢- مادة (ى . م . ن) [٤] :-

بزيادة ياء قبل الحرف الأخير (يمين) علي وزن فعيل، لها عدة معان منها : يمين الإنسان ، والقوه والقدرة ، والمنزلة ، والدّين ، والحلف ، والمعني الاخير هو الذي يُهمنا بالدرجة الأولي ، واليمين مأخوذ من أن المتحالفين والمتعاهدين قد يضع كل منهما يمينه في يمين صاحبه ، فصار (الحلف) بذلك يسمي يميناً، قال تعالي :﴿ **ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ** ﴾[٥] قال صاحب مختار الصحاح : (واليمين : القسم وجمعها أيمن وأيمان ، وقيل : إنما سميت بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا وضع كل واحد منهما يمينه علي يمين صاحبه) .

وقال أبو اسحق إبراهيم بن عبدالله النجيرمي :(وأصل اليمين: أنهم كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل : أعطاه صفقة يمينه علي هذا الأمر، فسموا (الحلف) يميناً علي هذا المعني وأنثوا اليمين علي تأنيث اليد ، فقالوا : حلف يميناً برةً ويميناً فاجرةً) [٦].

---

(١) الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني / ص٦٧٠ ، تحقيق صفوان عدنان داؤودي ط / دار الفكر ، بيروت.

(٢) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج٤/ص١٦٦ ، وانظرعون : أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط لعلى ابو القاسم عون ص٣١ –٣٤ ، ط/منشورات جامعة الفاتح، ت/١٩٩٢م، وانظر شيلوه : الكشف والبيان في علوم القرآن للدكتور عبد العزيز شيلوه/ ص٢٨١ وما بعدها، ط/دار البيان بمصر.

(٣) انظر: مادة (يمن) في القاموس المحيط ولسان العرب والتعريفات : لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ط/مكتبة لبنان، بيروت، ت/١٩٧٨م ، وفي الصحاح : لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، عنى بترتيبه السيد محمود خاطربك ط/المطبعه الاميريه، القاهره ، ت/١٩٢٢م.

(٤) الرازي : مختار الصحاح / ص٧٤٥ .

(٥) المائدة : الآية (٨٦) .

(٦) النجيرمي : أيمان العرب في الجاهلية لأبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله النجيرمى ص٣٤ ، تحقيق مجد الدين الخطيب ، ط/الدار السلفية بالقاهرة.

٣- مادة (ح . ل. ف) [١] :-

– الحَلف والحِلف (بفتح الفاء وكسرها) لغتان في القسم: فالحِلف (بكسر الحاء) : يعنى العهد والميثاق وتحالف القوم : أى تعاهدوا فيما بينهم .

– وأما الحَلف (بفتح الحاء) : فيعنى اليمين ، ومنه قوله تعالي :﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ** ﴾[٢] قال الرسول صلي الله علي وسلم : (من حلف علي يمينٍ فرأي غيرها خيراً منها فليكفر ، وليأت الذي هو خير ...) [٣] وأصلها : (أن العرب كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم . ولذلك قيل : أعطاه صفقة يمينه علي هذا الأمر ثم سموا الحلف يميناً علي هذا المعني) [٤] ومشتقات هذه المادة لا تكاد تخرج عن معني(القسم واليمين) ، و إن خرجت فإلي ما يترتب عليه من محالفه ومعاهده والتزام ، فهي أصل في القسم تفرعت عنه معان متصلة به) [٥] ، مع أن كتب المعاجم تري أن (الحلف والقسم): لفظان مترادفان يؤديان معني واحد، من غير فرق أو تميز بينهما ، وانها تفسر أحدهما بالآخر ، ولكن حين نستقري استعمال الكلمتين وأصل اشتقاقهما لنتعرف علي الفرق بينهما ، نجد أن العرب يقولون :

(حلفة فاجر ، أحلوفة كاذبة) [٦] ولم يرد مثل هذا مع القسم ، فالحلف يدور حول الاحتمال والشك والتردد ، وبهذا يكون الحالف غالباً معرضاً للحنث كثيراً لأنه حلف علي الظن وليس عن يقين.

وحين نستقري البيان القرآني في استعماله لمادة (ح . ل . ف) نجدها قد دارت في (اثنى عشر) موضعاً وهي: النساء الآية (٦٢) قوله تعالى:﴿**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**﴾ المائدة الآية (٨٩) قوله تعالى:﴿**...ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ التوبة الآية (٤٢) قوله تعالى:﴿**وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ وفى الآية (٥٦) قوله: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾ وفى الآية (٦٢) قوله: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ وفى الآية (٧٤) قوله:﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ..**﴾ وفي الآية (٩٥) قوله:﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ...**﴾ وفى الآية (٩٦) قوله:﴿**يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ وفى

---

(١) ابن منظور : لسان العرب مادة (حلف) ، وانظر الفيروز آبادي : القاموس المحيط – مادة (ح. ل. ف) .

(٢) القلم : الآية (١٠) .

(٣) الإمام مسلم : صحيح مسلم بشرح الأمام النووي للأمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ج٣/ص١٢٧١ ، كتاب الإيمان . حديث رقم(١٦٥٠) .

(٤) النجيرمي : أيمان العرب في الجاهلية / ص٣٤ .

(٥) عون : أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط / ص٣٦–٣٧ .

(٦) الزمخشري : أساس البلاغة لجار الله محمود الزمخشري ، كتاب الشُعب ، ص/١٩٢، ط/دار مطابع الشعب، مصر، ت/١٩٦٠م

الآية (١٠٧) قوله:(**وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ المجادلةَ الآية (١٤) قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ ، وفى الآية (١٨) قوله:﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ وفى سورة القلم الآية (١٠) قوله :﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ**﴾ كلها جاءت بغير استثناء في الحنث باليمين، عدا آية واحدة في سورة القلم وهي قوله تعالي:﴿**وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ**﴾[١] وكلها آيات مدنية عدا أية واحدة مَكّيّة فى سورة التوبه وهى قوله: ﴿**يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ ثم إن إسناد الفعل غالباً جاء في المنافقين ، وحين أسند الفعل إلي المؤمنين في قوله تعالي:﴿**ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾[٢] كان ذلك لبيان كفارة الحلف عند الحنث ، وبإستعراض آيات الحلف المسندة للمنافقين والتي كشفت حقيقتهم وفضحت زيفهم ، نري أن اليمين فيها كانت معقودة أصلاً وابتداءً علي خلاف الحقيقة والواقع في أغلب الآيات ، وهم يعلمون ذلك ، ويعلمون أن الأمر كذب قال تعالي :﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَي الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَي الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[٣] .

فالحق يدور في العربية علي احتمال الحنث غالباً لأنه مبني علي الظن ، وفي البيان القرآني يتضح بجلاء أن اليمين في الحلف معقودة غالباً علي الحنث أصلاً ، حيث يحلف المنافقون علي خلاف الحقيقة التماساً للعذر ، دون مبرة في الحلف أو صدق في اليمين ، أما القسم : فتفسره المعاجم بـ(الحلف) دون أن تذكر فرقاً بينهما، إلا أننا نجد صاحب القاموس يقول : (والقسم : العطاء والرأي وأن يقع في قلبك الشيءُ فتظنه ، ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة)[٤] فكأن القسم في بعض اشتقاقاته اللغوية أقوي في الظن وأقرب إلي الحق وأبعد عن الاحتمال والشك كما هي الحال في الحلف ، فالقسم إذاً يكون علي الشيءُ الواضح ، والحق البين ، والإيمان الصادقة ، ولهذا جاء القسم في القرآن الكريم موصوفاً بالعظمة في قوله تعالي :﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾[٥] .

وباستقراء البيان القرآني في استعمال القسم ، نجده يدلنا علي أنه يعبر عن حال المُقْسَم عند عقد اليمين ، فيخص القسم بمن كان صادقاً عند عقده لليمين ، حتى ولو خالف ذلك الحق وجانب الصدق في واقع الأمر، وإنما كان ذلك هو اعتقاده الجازم ونظرته المخلصة في نظر نفسه أو علي الأقل إيهام المُقْسَم

---

(١) القلم : الآية (١٠) .

(٢) المائدة : الآية (٨٩) .

(٣) المجادلة : الآبة (١٤).

(٤) الفيروز آبادي : القاموس المحيط ج٤/ص١٦٤ .

(٥) الواقعة : الآية (٧٦) .

به بذلك ، ومن هنا يمكن أن نفهم إشارة القرآن الكريم المتكررة إلي الجهد المبذول عند عقد اليمين من قبل بعض الكفار والمشركين مما يوحي بصدقهم وإخلاصهم في اعتقادهم وان لم يكن هو الحق فقد ذكر الله سبحانه وتعالي أقسامهم بالله جهد أيمانهم في (خمسه) مواضع وهي: المائدة الآية (٥٣) قوله تعالى:﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ**﴾ الأنعام الآية (١٠٩) قوله تعالى: ﴿**أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا**﴾النحل الآية (٣٨) قوله: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ النورالآية (٥٣) قوله: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾فاطر الآية (٤٢) قوله: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ**﴾ ليوحي اجتهادهم غاية الجهد في هذه الأيمان بصدقهم فيها وان تبين فيما بعد أن الأمر بخلاف ذلك ومن هنا نري أن القسم يرد عاماً من الله سبحانه تعالي ، وعلي لسان المسلمين والمنافقين والكفار ويكون في آيات مكية ومدنية ، وغالباً ما يكون صادقاً باراً وأن لم يكن كذلك في واقع الأمر فعلي الأقل في نظر المُقْسَم وحسب اعتقاده عند عقد اليمين .

تقول بنت الشاطئ في تفسير سورة البلد : (فقد يبدو من السهل أن تفسر (أقسم) بلفظ (أحلف) وليس في استعمال العرب لهما ما يمنع من تفسير أحدهما بالآخر ، لكن استقراء الكلمتين في القرآن يمنع هذا الترادف .... إلي أن تقول وأمام هذا الاستعمال القرآني لا يهون أن نفسر القسم بالحلف وصنيع القرآن فيهما يلفت إلي فرق دقيق بين اللفظين المقول بترادفهما فرق يؤيده فقه العربية ، فاختلاف مادتي اللفظين يؤذن باختلاف مدلول كل منهما ، وبين حلف وحنث من القرب ما ليس بين حلف وقسم مما يبعد أن يكونا سواء)[١] وهذا فرق كبير واضح يكفي لنفي ترادف الكلمتين[٢].

المبحث الثاني
أغراض القسم

بالرجوع إلي كتب النحو وكتب علوم القرآن نجد الإجماع معقوداً علي تحديد الغرض من القسم في التوكيد ، يقول ابن يعيش : إعلم أن الغرض من القسم هو توكيد ما يقسم عليه من نفي وإثبات) [٣].

---

(١) بنت الشاطئ : التفسير البياني للقرآن لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ج١/ ص١٦٦– ١٦٨ ، ط/دار المعارف ، القاهرة .

(٢) الشايع : الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن د. محمد بن عبدالرحمن صالح الشايع، ص٢٣٨–٢٤٣ ، ط/ مكتبة العيبكان الرياض . وأنظر هيجانه : خصوصية المعني لألفاظ القرآن الكريم لمحمود سليم محمد هيجانه، ص١١٥ – ١٢٠، ط/ أربد ، المملكة الأردنية الهاشمية .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ج[٣]٩/ص٩٠ .

أما ابن القيم الجوزية فيقول : (والمُقْسَم عليه يراد توكيده وتحقيقه) [١] والقرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتها إذا أرادت أن تؤكد أمراً أن يكون فيه القسم ، وقلما نجد القسم مستعملاً في اللغات الأخرى وآدابها[٢] وكثيراً ما يحتاج المتكلم إلي تأكيد خبر يسوقه أو توثيق وعد يَصْدُر منه وخاصة في الأمور المهمة كالمخالفات والمعاهدات ، وكان للتأكيد عند العرب صِيغ مختلفة ولكن يعتبر القسم أقواها تأكيداً وتحقيقاً لأنه يفيد الجزم بصحته والقطع بصدقه ، وقد بلغ من شأن القسم عندهم أنهم كانوا يحترزون كل الاحتراز من الأيمان الكاذبة ويعتقدون أنها شؤم علي صاحبها تخرب الديار وتدعها بلاقع لما فيها من الغدر والخيانة ، ومن أجل هذا كانت اليمين عندهم قاطعة في إثبات الحقوق فالقسم واليمين يعتبر عندهم ميثاق شرف وعهد عند الشخص الذي يؤديه ، فالغرض الأصلي من القسم تأكيد المُقْسَم عليه أما تقديس المُقْسَم به أو تشريفه فغير مقصود أصالة وأن أتي تبعاً .

وتشتمل أغراض القسم في القرآن الكريم علي الآتي :-

١/ تأكيد الخبر وتقريره ، وتلك عادة العرب الذين كانوا يقطعون كلامهم بالقسم لأن (القصد من القسم تحقيقٌ الخبر وتوكيده) [٣] وهذا الغرض يظهر لنا إذا علمنا أن المُقْسَم عليه كثيراً ما يكون في الأمور الخفية الغائبة فيُقسم عليها لإثباتها .

مثل قوله تعالي : ﴿ **لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَي قَادِرِينَ عَلَي أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾[٤].

---

(١) ابن القيم : التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية / ص٢/ تعليق طه يوسف شاهين ط/دار الطباعة المحمدية ،الأزهر ، القاهرة .

(٢) د.عبد الجليل : لغة القرآن الكريم د. عبد الجليل عبد الرحيم ، ص٢٦٥ ، ط/ مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ت ١٩٨١م.

(٣) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج٤/ ص٤٦ ، ط/ مطبعة الشهيد الحسين، مصر .

(٤) القيامة : الآيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

فالقسم في كلام الله تعالى يزيل الشكوك ، ويحبط الشبهات ، ويقيم الحجة ، ويؤكد الأخبار ، ويقرر الحكم في أكمل صوره) [١].

٢/ لفت الأنظار إلي الكون وما يحويه من أسرار عجيبة وما فيه من نظام بديع محكم[٢] فجاء القسم في القرآن الكريم علي هذه الأمور لأثبات ذلك .

٣/ إثبات صدق الرسول صلي الله عليه وسلم إذ كانت العرب تعتقد أن الأيمان الكاذبة تدع الديار بلاقع وإنها تضر صاحبها ، وقد كان إكثار النبي صلي الله عليه وسلم من الحلف بأمر الله عز وجل ، مثل قوله تعالي :﴿**وَيسْتَنبِؤُنَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾[٣] ، وقوله تعالي : ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَي وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**﴾[٤] ومع قسمه صلي الله عليه وسلم لم يصب بسوء بل ارتفع شأنه وعلي ذكره صلي الله عليه وسلم فكان دليلاً علي صدقه[٥] .

٤/ إبراز المعقول في صورة المحسوس ، وذلك لأن الأمر المعقول إذا صوَّر في شيء حسي فإن العقل يستوعبه أكثر عما كان مجرداً من الحس ، ومثله تشبيه الوحي بالضحى في رابعة النهار، وتشبيه الباطل بالليل . وتشبيه الحق بالنهار فيه إشارة إلي أن الليل البهيم لا بد وأن يعقبه صبح مشرق بهيج يبدد ظلامه وظلماته، وأنّ ظلام الشرك والجهل لا بد وأن يعقبه نور الحق واليقين .

٥/ تصحيح العقائد الباطلة ، فالقسم بالنجم إذا هوى ، والكواكب، والشمس ، والقمر ، فيه رد علي من أعتقد أنها آلهه ، وأن لها تصرف في العالم السفلي .

٦/ لفت الأنظار إلي أحداث بارزة ، كان لها أكبر الأثر في تاريخ البشر و يظهرهذا في القسم بالأمكنة مثل (الطور)، فالقسم به فيه إشارة إلي ما كان عند ذلك الجبل من الآيات التي ظهرت لموسي عليه السلام ، والقسم بالبلد الأمين فيه إشارة إلي حادثة ظهور النور المحمدي من هذا المكان ، ذلك النورالذي بدد ظلمات الجهل والضلال ثم شع في آفاق الدنيا وملأ جنباتها[٦].

---

(١) القطان : مباحث في علوم القرآن لمناع خليل القطان / ص٢٦٧، ط/ مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢) د.عبد الجليل عبد الرحيم : لغة القرآن الكريم / ص٢٦٧ .

(٣) يونس : الأية (٥٣) .

(٤) سبأ : الأية (٣) .

(٥) د.عبد الجليل عبد الرحيم : لغة القرآن الكريم / ص٢٦٧.

(٦) شيلوه : الكشف والبيان في علوم القرآن / ص ٢٨٥-٢٨٧ بتصرف واختصار . وانظر: د. عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم ، ص٢٦٨ .

المبحث الثالث

أنواع القسم

أما أنواع القسم في القرآن الكريم فإننا نجدها تتمثل في ثلاثة أنواع وهي :-

الأول : نوع يلزم فيه التقديس .

الثاني : نوع فيه تشريف وإعزاز للمقسم به .

الثالث : وهو المقصود بالبيان ، ويكون القسم فيه بالدليل أو ما في حكمه ، وهو القسم الاستدلالي.

الأول : القسم التقديسي : -

وهو إقسام الإنسان بمعبوده ، وعند المسلمين أن يقسم العبد بالله أو بصفه من صفاته ، فيقول أحدهم: اقسم بالله أو بعزته أو بجلاله لأفعلن كذا، وهو أقوى أنواع القسم تأكيداً للمقسم عليه وهو القسم الشرعي الذي يأثم الإنسان على نقضه بعد تأكيده أقسم الله عز وجل بالنبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[1] قال العلماء:(ليعرف الناس عظمته عند الله تعالى ومكانته لديه) [2] هذا إذا كان الله عز وجل هو المُقْسَم ، أما العباد إذا أقسموا فالإسلام حرم عليهم القسم بغير الله أو صفه من صفاته، وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يحلف بغير الله فقال : (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبآئكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) [3] للفقهاء في ذلك آراء وأقوال فِقْهِيَّة ليس ذلك موضعها[4] .

الثاني : القسم التشريفي :-

يحس الإنسان أحياناً في نفسه عزة ورفعة ، فيحمله هذا إذا أراد تأكيد كلام أن يقول : ورأسي أو وحياتي أو لعمري لأفعلن كذا ، و كذلك يريد إعزاز المخاطب وإكرامه فيقول له : ورأسك أو لعمرك ، فكل هذه الأقسام تفيد التأكيد ، مع أنها تشعر بتعظيم المُقْسَم به إلا أنها لا تصل إلي حد التقديس .

---

(١) الحجر:الآية (٧٢) .

(٢) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ج٢/ص١٧٠ .

(٣) الإمام مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي. كتاب الإيمان ج٣/ ص١٢٦٦، حديث رقم١٦٤٦ .

(٤) الجبورى: اليمين والآثار المترتبة عليه / ص٥٢-٥٥.

الثالث : القسم الاستدلالي :

روي أن (هجرساً) حين هم بقتل خاله (جسّاسّاً) قاتل أبيه ، قال : (وفرسي وأذنيه ، ورمحي ونصليه ، وسيفي وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه) [١] ثم طعنه فقضي عليه. لم يرد (هجرسا) تقديس فرسه وأذنيه ، ورمحه و نصليه ، وسيفه وغراريه ، ولا تشريفها وان كانت عظيمة عنده وعزيزة لديه ، ولكنه أراد أن يقول : لا عذر لي في أن أترك قاتل أبي حياً وأنا أنظر إليه وأنا تام الأهبة قادر علي الضرب والطعن والثأر ، أو أراد أن يقول: أنا تام العدة قادر علي الثأر ومن كان كذلك لا يسوغ له أن يترك قاتل أبيه حياً وهو ينظر إليه ، فوضع الدليل في صورة القسم التي تفيد تأكيد المحلوف عليه وتلفت السامع إليه دون أن تعطي الخصم فرصة الإنكار أو الفرار .

قال عروة بن مرة الهزلي :

وقال أبو أُمامة يالبكرٍ * * * فقلت و مرخة دعوى كبير

المعني : يستهزئ الشاعر بابي أُمامه علي استغاثته بقبيلة بكر ، فقال : هذه دعوى كبيرة ، أي ما أصغر من يدعوهم لنصرته ، فأقسم علي ذلك بشجرة صغيرة لا تؤوي من يلوذ بها وضربها مثلاً لأضعف الأشياء ملاذاً ، وإنما قال : (كبير) تهكماً ، فهو يريد : فقلت و مرخة دعوى صغير، علي حد قولك للأسْود : يا أبيض، وللجبان : يا أسد، وكقوله تعالي : ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ**﴾[٢] أي : الذليل اللئيم.

ويتضح هذا المعني بما قاله أبو جندب الهذلي :

وكنت إذا دعا الداعي لمضوفةٍ * * * أشُمِّر حتى يُنّصف الساق مئزرى

فلا تحسبا جاري لَديَ ظِلِّ مرخةٍ * * * ولا تحسبَنَّه قَعْقُعُ قـاعٍ بقرقرِ

والمرخة : شجرة ضئيلة الظل لا تقي من استظل بها من حر الشمس، ولذا تقول العرب لمن لجأ إلي ضعيف ليحميه : لقد استظل بمرخة[٣] فالتقديس والتشريف لا يلازمان المُقْسَم به ، بل قد يكون حقيراً أو صغيراً أو بغيضاً ثقيلاً ، وقد يكون القسم للتذكير بالمُقْسَم به والتنبيه إليه ، وقد يكون للاستدلال بالمُقْسَم به علي المُقْسَم عليه ، أو لتشبيه المُقْسَم عليه بالمُقْسَم به ، وإلي هذا أشار الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالي :﴿ **وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَٱلْحَامِلاَتِ وِقْراً * فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَٱلمُقْسِمَاتِ أَمْراً *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ * وَإِنَّ**

---

(١) الفراهي : إمعان في أقسام القرآن ، للمعلم عبد الحميد الفراهي/ص٣٥، ط/ المطبعة السلفية، القاهرة . وانظر القصة كاملة في كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ج٥/ص٦١.

(٢) الدخان : الآية (٤٩) .

(٣) الفراهي : إمعان في أقسام القرآن / ص٣٥ بتصرف . والقاع : المستوي من الأرض، والقرقر: الأملس الذي لا حجارة فيه . وأنظر الرازي : مختار الصحاح / ص٥٥٦، وابن منظور : لسان العرب ، ج١١ / ص١٢٨.

ٱلـدِّينَ لَوَاقِـعٌ﴾[1] إلـي أن الأيمـان الواقعـة فـي القرآن وإن وردت فـي صـورة القسـم فالمقصـود بهـا الاسـتدلال بالمُقْسَم به علي المُقْسَم عليه ،وهو هنا صدق الوعد ، والبعث ، والجزاء فمن قدر علي هذه الأمور العجيبة المُقْسَم بها يقدرعلي إعادة من أنشأه [2].

ونجد أن أكثر أقسام القرآن استدلالية ، والأدلة علي ذلك كثيرة منها : –

١/ إن القرآن الكريم يتصرف في أساليبه ، فتارة يذكر الأمور الدالة علي وجود الله ووحدانيته وقدرته، في أسلوب قسم ، وتارة يسوغها مساغ العظة والتوجيه ، وهي في الحالتين بينات علي ما سيقت إليه و لمن يتفكر فيها ويتدبر مراميها ، قال تعالي : ﴿**وَفِـي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [3] وإن حمل هذه الأقسام علي الاستدلال هو اللائق بجلال الله وكتابه ، لأنه ليس من اللائق ولا من الصواب ، أن يفهم أي قسم من أقسام الله علي أنه تقديس للمقسم به لأن هذا التقديس يجوز علي البشر، ولا يصح مع الخالق جلَ جلاله إلا في حالة واحدة وهي القسم بالله فإنه تقديس لإسمه عزّوجل.

وفي آيات أخري استدلال بالأرض، والسماء ، والجبال ، والبحار، وغيرها، عن طريق القسم بها ولا شك أن توجيه القسم بها علي أنه استدلالي للاحتجاج والاستشهاد يناظر ذكرها للعظة والتوجيه والاعتبار .

٢/ ليس من المعقول أن يتصور إنسان مؤمن أن الله الخالق يقدس مخلوقاته التي أقسم بها ، وهي كما ذكر القرآن مراراً أنها مسخرة طائعة لله سبحانه وتعالي لا تملك لنفسها أو لغيرها نفعاً أو ضراً .

٣/ يذكر القرآن الكريم الآيات الدالة ، ثم يقسم بالله سبحانه ، كأنه قد مهد بذكرها لبيان المراد من الاستدلال بها قال تعالي : ﴿**وَفِي ٱلأَرْضِ ءَايَـاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِـي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَفِـي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَـا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [4] ومعني هذا : أن الآيات المنبثة في الأرض وما عليها ، وفي النفوس و أحوالها وأسرارها ، وفي السماء ونجومها وسحبها، كلها أدله علي وجود الله وقدرته ، ودلائل علي صدق النبوة والبعث والقرآن، ولهذا عقب بالقسم بذاته العلية ، وهذا القسم بالذات العلية مراد به التقديس ، لأنه قسم بالله المعبود بالحق ولأنه متضمن الاستدلال بما تدل عليه السماء والأرض من بينات علي وجود الله تعالي وعلي صدق محمد صلي الله عليه وسلم .

---

(١) الذاريات : الآيات(١، ٢ ، ٣ ، ٤، ٥ ،٦) .

(٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لمحمد فخر الدين الرازي تفسير(سورة الذاريات) ص١٩٣ – ١٩٦ ، ط/ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) الذاريات : الآية (٢١) .

(٤) الذاريات : الآيات (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢، ٢٣).

٤/ إذا رجعنا إلي الأقسام القرآنية وأجوبتها ، وجدنا أن هنالك ملاءمة بينهما وأدركنا أن المناسبة قوية بين القسم والمُقْسَم به ، وهذا يعزز انها أقسام استدلالية ومن ذلك قوله تعالي : ﴿**وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**﴾[١] أقسم الله عزوجلَّ بآيتين عظيمتين من آياته وهما: الضحى ، والليل ، يقول السيوطي : مجلياً التلاؤم بين هذا القسم وجوابه (وتأمل مطابقة هذا القسم ، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودّع محمداً ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل علي ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه[٢] .

(١) الضحى : الآيات (١ ، ٢ ، ٣) .

(٢) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج٤/ ص٥١ .

المبحث الرابع
أركان القسم

للقسم أركان أربعة وهي:-

١/ الركن الأول :

المُقْسَم : وهو إمَّا الله وإمَّا العباد ، أمَّا القسم من الله فقد قيل: ما معني القسم من الله تعالي ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن ، فالمؤمن مصدق كلام الله بمجرد الإخبار عنه من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فهو منكر لكلام الله فإن القسم لا يفيده[١] والجواب : أن القرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتها القسم إن أرادت إن تؤكد أمراً ، كما أن الحكم يفصل بين إثنين إمَّا بالشهادة وأما بالقسم فإذا اجتمعت البينة وهي : الشهادة مع اليمين علي دعوى اكتسبت مزيد ثبوت وتقرير، فذكر الله تعالي في كتابه النوعين حتى لا يبقي لهم حجة ، فقال تعالي : ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...**﴾ [٢] وقال تعالي : ﴿**وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾[٣] ففي الآية الأولي فصل الحكم وقرره بالشهادة ، وفي الآية الثانية قرره وأكده بالقسم[٤] وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالي : ﴿**وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾[٥] صرخ وقال : من الذي أغضب الجليل حتى الجأه لليمين[٦] فالقسم ضرب من البيان ألفه العرب ، ليوثقوا به أنباءهم وليبينوا أنه كثيراً ما يجيء للاستشهاد والاستدلال علي صدق المقال، فهو إذن نوع من الدليل الواقعي المحسوس الذي يستميل المشاعر والوجدان ويثير الانتباه والتفكير .

---

(١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ج٣/ص٤١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/دار الفكر ، بيروت .

(٢) آل عمران : الآية (١٨) .

(٣) يونس : الآية (٥٣) .

(٤) شيلوه : الكشف والبيان في علوم القرآن ص٢٨٩-٢٩٠ .

(٥) الذاريات : الآيتان (٢٢-٢٣)

(٦) الآلوسي : روح المعاني ج٢/ص١٠- ١١ .

٢/ الركن الثاني :-

المُقْسَم به : وقد جاء في القرآن الكريم لعدة أغراض :-

الأول :-

أنه قد يكون شيئاً علوياً بعيداً عَنّا يثير الرهبة والعظمة والجلال ، ويدعونا ذكره والقسم به إلي أن يثير لدينا الفضول العلمي وحب الاستطلاع ، فأخذ في توجيه أنظارنا إليه بالبحث والدراسة والتحليل ومحاولة تسخيره لمنافعنا ، وذلك كالسماء وما فيها من شمس ، و قمر ، ونجوم ، و كواكب ، ومظاهر كونية ، فالقسم بهذه الكائنات العلوية يدفع الناس إلي البحث والتنقيب ، ونصوص القرآن الدالة علي النظر والبحث كثيرة ومنها قوله تعالي :﴿**قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ**﴾[١] وقوله تعالي :﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيءٍ**﴾[٢] وقد أثبت الواقع أنه كلما تعمق الباحثون في دراسة هذه الظواهر التي أقسم الله بها ، وجدوا فيها من العظة والجلال والقدرة الآلهيه ، ما تخر له النفوس ساجدة خاشعة قائلة :﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾[٣] .

الثاني :-

أن المُقْسَم به قد يكون شيئاً أرضياً مما يحيط بالإنسان ويتعايش به ومعه ، ويقسم الله تعالي به لما فيه من منافع وفوائد ، كالتين والزيتون ، والبحر المسجور ، والأرض وما طحاها.

الثالث :-

أن يكون المُقْسَم به شيئاً ذاتياً للإنسان وذلك كالنفس البشرية التي أقسم الله تعالي بها في قوله تعالي:﴿**وَلاَ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَامَةِ**﴾[٤] وقوله تعالي:﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[٥] ولا شك أن القسم بهذه الأشياء يفتح للباحثين مجالاً كبيراً في المباحث الفكرية والنفسية والاجتماعية[٦] .

---

(١) يونس : الآية (١٠١) .

(٢) الأعراف : الآية (١٨٥) .

(٣) آل عمران : الآية (١٩١) .

(٤) القيامة : الآية (٢).

(٥) الشمس : الآية (٧) .

(٦) شيلوه : الكشف والبيان في علوم القرآن، ص٢٩٣ ، وانظر: د. عبد ربه فرحات: تفسير(سورة النجم) دراسة تحليلية موضوعية / ص٤٣-٤٤، ط/ دار السلام للطباعة والنشر، المنصورة ، ت/١٩٩٤م.

٣/ الركن الثالث : –

جواب القسم أو المُقْسَم عليه : –

الغالب في المُقْسَم عليه أن يكون في الكلام لأنه المقصود بالتحقيق ، وقد يحذف كما يحذف جواب (لو) إمَّا للعلم بهِ أو لتذهب النفس فيه كل مذهب ، كما في قوله تعالي : ﴿**كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ**﴾ [١] فجواب لو محذوف تقديره لو تعلمون علم اليقين عاقبة التفاخر بما اشتغلتم به ، وهذه عادة العرب في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبة وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها، وأكثر ما يحذف جواب القسم إذا كان في نفس المُقْسَم به دلالة علي المُقْسَم عليه ، فإن المقصود يحصل بذكره أى(المُقْسَم به) فيكون حذف المُقْسَم عليه أبلغ وأوجز، كما في قوله تعالي :﴿**ص* وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ**﴾[٢] فإن في المُقْسَم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الشرف والقدر ، ما يدل علي المُقْسَم عليه وهو كونه حقاً من عند الله غير مفتري وتقدير الجواب: إنَّ الفرقان لحق وهذا يطرَّد في كل ما شابه ذلك ، كقوله تعالي :﴿**ق * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ**﴾[٣] وتقدير الجواب : ما آمن كفار مكة برسول الله صلي الله عليه وسلم .

٤/ الركن الرابع :–

حروف القسم :–

للقسم حروف (أدوات) وهي من حروف الجر فمن علامات الاسم دخول حروف القسم عليه وهي تضيف الحلف إلي المحلوف به كما تضيف الباء (مرَّ) إلي الممرور به ، وحروف القسم خمسة وهي :(الباء ، الواو، التاء ، اللام ، من) وأكثرها استعمالاً الثلاثة الأول[٤] وبعض العلماء يرتبها بالأصل ثم الفرع وبعضهم يرتبها مبتدئاً بالأكثر استعمالاً ، وابن خالويه يعتبرها كلَّها أصولاً بل يعتبر همزة الاستفهام أصلاً كذلك ، وهي عوض عن حرف القسم[٥] ، والذي يعنينا من هذه الأدوات الحروف الثلاثة الأولي : إذ لم ترد (اللام ، ومن) للقسم في القرآن الكريم .

---

(١) التكاثر : الآية (٥).

(٢) ص : الآية (١).

(٣) ق : الآية (١) .

(٤) سيبويه : الكتاب لابى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ج٣ / ص٤ ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ودار عالم الكتب، القاهره ، ت /١٩٧٣م .

(٥) ابن خالوية : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم / ص ٣٧.

أولاً : الباء :-

وهي حرف جر يأتي لأربعة عشر معني منها (الإلصاق ، والتعدية ، والاستعانة ، والسببية ، والمصاحبة ، والظرفية ، والبدل ، والقسم ، والتوكيد)

واختصت من بين حروف الجر بالقسم لأمرين[١]:-

أحدهما : أنها الأصل في التعدية ، فلما كان فعل القسم غير متعدٍ وصلوه بالباء المعدية فصار اللفظ أحلف بالله ، أو أقسم بالله . قال تعالي : ﴿**فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا**﴾ [٢] الآخر: أن معني الباء الذي لا يفارقها (الإلصاق) والمراد به هنا: إلصاق معني القسم بالمُقْسَم به وإيصاله إليه . وذلك مثل إلصاق معني الممرور بالممرور به في قولك : مررت بزيد ، فعندما تقسم بالله تلصق معني القسم بلفظ الجلالة ، فالباء من حروف الجر بمنزلة (من ، وفي) فلذلك حكم بأصالتها وأولويتها في القسم وأصالتها في القسم جعلتها تنفرد بأمور ثلاثة هى[٣]:-

١/ جواز إثبات فعل القسم وفاعله معها أو حذفهما :

ولا يجوز إظهار فعل القسم مع غيرها ، ومن شواهد ظهور فعل القسم معها قوله تعالي : ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ**﴾[٤] وقوله :**(وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ**﴾[٥] ، هذا وقد أحصيت الآيات التي ظهر فيها فعل القسم مع (الباء) فبلغت(واحداً وعشرين) موضعاً وهي: سورة النساء الآية (٦٢) قوله تعالى :﴿**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**﴾ المائدة الآية (٥٣) قوله:﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ**﴾ وفى الآية (١٠٦) قوله:﴿**يُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا...**﴾ وفى الآية (١٠٧) قوله: ﴿**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا**﴾ وفى سورة الأنعام الآية (١٠٩) قوله :﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا**﴾ فى سورة التوبة الآية (٤٢) قوله:﴿**وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ**﴾ والآية (٥٦) قوله:﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾ ، والآية (٩٥) قوله:﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ**

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ، ج٩ / ص٩٩ .

(٢) المائدة : الآية(١٠٧) .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ، ج٩/ص١٠٠ – ١٠١، وانظر السيوطي : الأشباه والنظائرلجلال الدين، ج١ /ص٢٧٧ .مراجعة وتقديم د. فايز ترحينى ، ط/ دار الكتاب العربي ت/ ١٩٨٤م . وانظرابن مالك : شرح الكافية ج٢/ص٨٦١ ..

(٤) النحل : الآية (٣٨) .

(٥) التوبة : الآية (٥٦) .

رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ ، وفى سورة النحل الآية (٣٨) قوله :﴿**أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** ، وفى سورة النورالآية (٥٣) قوله:﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ..﴾** ، وفى سورة النمل الآية (٤٩) قوله:﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** ، وفى سورة فاطرالآية (٤٢) قوله:﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ... ﴾** ، وفى سورة الواقعة الآية (٧٥) قوله:﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾** ، وفى سورة الحاقة الآية (٣٨) قوله: ﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾** ، وفى سورة المعارج الآية (٤٠) قوله:﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾** ، وفى سورة القيامة الآية (١) قوله:﴿**لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** ، وفى سورة التكويرالآية (١٥) قوله:﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾** ، وفى سورة الانشقاق الآية (١٦) قوله :﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾** ، وفى سورة البلد الآية (١) قوله :﴿**لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** ، وفى سورة النور الآية (٦) قوله: ﴿**.. فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾** ، والآية (٨) قوله :﴿ **ويدرؤا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾** والآيتان الأخيرتان مع فعل غير صريح في القسم ، ومن شواهد إضمار فعل القسم مع الباء قوله تعالي:﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**(١) ، وقوله : ﴿**وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾**(٢) ، هذا وقد خطأ السيوطي(٣) من جعل الباء للقسم في قوله تعالي : ﴿ **يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**(٤) ،وقوله تعالي: ﴿**أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾**(٥) ، وقوله :﴿ **قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾**(٦) وكذلك الشأن في قوله تعالي :﴿**بِآيَاتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾**(٧) فليس في (الباء) معني القسم فهي في الآية الأولي متعلقة بـ(لا تشرك) وفي الثانية متعلقة بـ(أدع) وفي الثالثة متعلقة بمحذوف خبر ليس وفي الآية الأخيرة متعلقة بما قبلها.

وقد وجدت أن عدد الآيات التي إتفق علي حذف فعل القسم فيها (أربعة) ذُكرت إثنين منها ، والأخريان هما: قوله تعالي :﴿**قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**(٨) وقوله : (**قَالَ رَبِّ بِمَآ**

---

(١) ص : الآية (٨٢) .

(٢) الشعراء : الآية (٤٤) .

(٣) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج٤ / ص٤٧ .

(٤) لقمان : الآية (١٢) .

(٥) الأعراف : الآية (١٣٤) .

(٦) المائدة : الآية (١١٨) .

(٧) القصص : الآية (٣٥) .

(٨) الأعراف : الآية (١٦) .

أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] وأربع آيات غير متفق علي قسميه (الباء) فيهما وقد ذُكرت وذكر الوجه فيها .

٢/ دخولها علي المظهر والمضمر :-

من شواهد دخولها علي الاسم الظاهر قوله تعالي : ﴿**قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**﴾[2] و قد سبق ذكر أرقام الآيات التي دخلت فيها علي الاسم الظاهر مع ذكر فعل القسم وحذفه ، وأما دخولها علي المضمر فلم أجد له دليلاً في القرآن الكريم ، وقد وجدت في الشعر قول عمر بن يربوع بن حنظله :

رأي برقاً فأوْضعَ فَوْقَ بكرٍ * * * فلا بِكَ ما أسال ولا أغاما[3]

فقد استشهد به علي أن أصل حروف القسم (الباء) بدليل اختصاصها بالدخول علي الضمائر لأن الإضمار يرد الأشياء إلي أصولها ومحل الشاهد (بك) .

وقال غوية بن سلمي :

إلا نادتْ أُمامة باحتمالٍ * * * لتُحْزَنِني فلا بك ما أُبَالي[4]

إستشهد به إبن يعيش مثل الشاهد السابق ومحل الشاهد (بك) ومن شواهد إبن مالك علي ذلك والفعل ظاهر قول الشاعر :

ِبكَ رَبِّ أقسمُ لا بغيرك لا أرى * * * أبداً مَوَالي غيرَ من والآكا[5]

حيث دخلت الباء علي المضمر (بك) وفعل القسم مذكور (أقسم) ودخولها علي المضمر من أدلة القائلين بأصالتها لأن الإضمار يرد الأشياء إلي أصولها .

---

(١) الحجر : الآية (٣٩) .

(٢) النمل : الآية (٤٩) .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ، ج٨ /ص ٣٥.

(٤) ابن مالك : شرح الكافية ، ج٢ / ص٨٢٦ . وانظرابن يعيش : شرح المفصل ج٨/ ص٣٤ .

(٥) ابن مالك : شرح الكافية الشافية ، ج٢/ ص٨٢٦ ، والبيت لم أعثر علي قائله .

٣/ استعمالها في القسم الاستعطافي : –

وليس لقسم الاستعطاف دليل في القرآن ، ومن شواهد ابن مالك عليه قول ابن قيس الرقيات :

رُقِّي بِعَمْرِكُم لا تَهْجُرينا * * * ومُنِّينا المُنيَّ ثم أمْطِلينا[١]

حيث استعملت الباء في الاستعطاف في (بعمركم لا تهجرينا) .

ومن شواهد الزمخشري قول ا بن هرمة :

باللهِ رَبِّكَ إنْ دخلتَ فقُلْ لهُ * * * هذا ابْن هرمةَ واقفاً بالباب[٢]

كأنه قال : استحلفك بالله ، حيث استعمل الباء في قوله (بالله) للاستعطاف .

وابن يعيش يتفق مع الزمخشري في انفراد الباء بالاستعمال في الاستعطاف ، ولكنه يختلف معه فى قسمية البيتين السابقين، فابن يعيش يري أنّ الأسلوب فيهما يفتقر إلي مقسم عليه ، ويري أنه لو كان قسماً لاستعملت فيه التاء والواو، ويجيب المعترض بقول الشاعر :

أيا خيرَ حيٍ في البرية كُلِّها * * * أباللهِ هلْ لي في يميني مِنْ عقل[٣]

علي أن الأسلوب أسلوب قسم ، بدليل قوله : هل لي في يمني من عقل ، قائلاً : (هل في يميني من عقل إن حلفت بأنك خير حي في البرية ، إلَّا أنه جعل هذا الكلام قسماً) [٤] وهو في مثل تلك الأبيات لا يقدر (أستحلفك) بل يقدر (أسالك) .

أضف إلي ذلك أنها تدخل علي كل محلوف به ، فهي أداة قسم عامه لا تختص باسم معين كالتاء مثلاً.

ثانياً الواو :–

تأتي لعدة معاني منها : (العطف ، الاستئناف ، الحال ، المعية ، القسم ، التأكيد) [٥] والواو أقرب حروف القسم إلي الباء لأمرين[٦] أحدهما : أنهما من مخرج واحد وهو الشفتان .

---

(١) المرجع السابق : ج٢ / ص٨٦٣ ، وانظر : ديوان ابن مالك / ص١٣٧ ط/دار بيروت للطباعة والنشر ، وانظر الشنقيطي :الدرر اللوامع علي همع الهوامع شرح جمع الجوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي ج٢/ص٤٦، ط/ مطبعة كردستان بالجمالية ، لصاحبها فرج الله زكي الكردي .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ج٩/ ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق : ج٩/ ص١٠٢وقائل البيت مجهول .

(٤) المصدر السابق : ج٩/ نفس الصفحة .

(٥) ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الانصاري . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٢/ص٣٥٤ ، ٣٦٩ ، ط/ دار إحياء التراث.

(٦) المبرد : المقتضب لأبي العباس المبرد ، تحقيق الدكتور محمد عبد الخالق عظيمة ج٢/ص٣٢ ، وانظرابن جني : سرصناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني/ص١٥٩ ، تحقيق لجنة من الأساتذة ط/دار أحياء التراث القديم . ت/١٩٥٤م .

الأخر : أن (الواو) للجمع و(الباء) للإلصاق فهما متقاربتان ، فلما وافقتها في المعني والمخرج حملت عليها وأنيبت عنها ، وكثر استعمالها حتى غلبت عليها ، ولذلك قدمها بعض النحاة وعلي رأسهم سيبويه[١] والدليل علي أنها بدل من الباء أمران[٢] :-

الأول : أنها لا تجامعها ، فتقول : والله لأفعلنَّ ، ولا تقول : وبالله أو بوالله ، علي أن كلاًّ من(الباء) و(الواو) للقسم .

الثاني : أنها عند الإضمار ترجع إلي الأصل وهي الباء ، وتقول والله لاَقُوْمَنَّ ، فإن أضمرت قلت : به لأقومن ولا تقول وبه لأقومن ، فرجوعك من الإضمار إلي الباء يدل علي أنها هي الأصل ويفهم من شرح ابن يعيش أنه يرجع إلي الباء عند الإضمار ، ولأنّ الواو لانحطاطها عن الأصل لا تدخل علي المضمر، وأن الإبدال حدث بالواو لأجل التوسع ولأن الواو أخف من الباء ، نقل السيوطي[٣] قول السهيلى وغيره : (بل الواو هي العاطفة كواو (رُبَّ) عطفت علي مقدر) ورد أبي حيان : (ولو كان أصلها العطف لم يدخل عليها واو العطف) ، ولعل السهيلى يقصد أنَّ كلا منهما من باب ، فليس أحدهما بدلاً من الآخر، ولا يعني بقاء واو العطف علي معناها ، والواو توافق الباء في الدخول علي كل محلوف به ظاهر، ولنا في القرآن الكريم شواهد كثيرة منها قوله تعالي :﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[٤] وقوله :

﴿ **وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾[٥] فلقربها من الأصل فضلت علي التاء بأن جر بها كل محلوف به ظاهر[٦] وتحذف ويبقي المُقْسَم مجروراً إذا كان لفظ الجلالة (الله) كما فى قراءة تنوين (شهادة) ووصل الهمزة و الجر علي القسم في قوله تعالي: ﴿**وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللهِ إِنَّآ إِذاً لَمِنَ ٱلأَثِمِينَ**﴾[٧] وهذه القراءة ذكرها الزمخشري مروية عن الشعبي، وذكرها العكبري بدون إسناد[٨] وتفارق الباء في أنها لا تدخل في القسم الاستعطافي ، ولا يجوز أن يذكر معها فعل القسم ، ولا تدخل علي مضمر ، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عما تنفرد به الباء .

---

(١) سيبويه : الكتاب ج٣/ص٤٩٧ .

(٢) ابن جني : سر صناعة الإعراب / ص١٥٩، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ، ج٨/ ص٣٤.

(السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين السيوطي. تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم ج٤ / ص٢٣٧ ط/دار البحوث العلمية الكويت ت/١٩٧٩م .٣) .

(٤) الحجر : الآية (٩٢).

(٥) العصر : الآيتان(١ ، ٢) .

(٦) سيبويه : الكتاب ج٣/ص٤٩٧ . وانظرالمبرد : المقتضب ج٢/ص٣٢٠.

(٧) المائدة : الآية (١٠٦) .

(٨) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود الزمخشري ج٢/ص٦٨٨ ، ط/ دار الفكر، بيروت .

أما ذكر فعل القسم معها فقد نسب السيوطي إلي إبن كيسان تجويزه ذلك فيقال : حلفت والله لأقومن وذكر رد أبي حيان له بأنه لم يحفظ وأن جاء فمؤول علي أن حلفت كلام تام ، ثم أتي بعده بالقسم ، ولا يجعل (والله) متعلقة بحلفت[١] وقد عللوا وجوب حذف فعل القسم مع الواو بكثرة استعمالها في القسم[٢] وأكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن الكريم جاءت بالواوِ، مثل قوله تعالي:﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾[٣] ، وقبل أن اذكر أرقام الآيات التي جاء فيها حرف القسم (الواو) ، أريد أن أنبه إلي أن واو القسم ليست كواو العطف ، لأن الأولي: عاملة فهي الجارة ، والثانية : دالة علي عامل ، وقد وجدت أن الآيات التي ورد فيها حرف (الواو) قسمياً طبقاً للإحصاء الذي أجريته قد بلغت(أربعاً وثلاثين) أية وهي : فى سورة النساء الآية (٦٥) قوله تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ..**﴾ ، وفى سورةالأنعام الآية (٢٣) قوله: ﴿ **ثُمّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ ، والآية (٣٠) قوله : ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا...**﴾ ، وفى سورة يونس الآية (٥٣) قوله:﴿ **وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ ، وفى سورة الحجر الآية (٩٢) قوله:﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ ، وفى سورة مريم الآية (٦٨) قوله:﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**﴾ ، وفى سورة سبأ الآية (٣) قوله:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ...**﴾ ، وفى سورة يس الآيات(١-٢) قوله : ﴿ **يس *الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ﴾ ، وفى سورة الصافات الاية (١) قوله: ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا**﴾ ، وفى سورة ص الآية (١) قوله: ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ ، وفى سورة الزخرف الايات (١-٢) قوله: ﴿**حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ ، وفى سورة الدخان الايات(١-٢) قوله: ﴿**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ ، وفى سورة الأحقاف الآية (٣٤) قوله: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا...**﴾ ، وفى سورة ق الآية (١) قوله: ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾ ، وفى سورة الذريات الآية (١) قوله: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا**﴾ ، والآية (٧) قوله: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾ ، والآية (٢٣) قوله: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ ، وفى سورة الطور الآية (١) قوله :﴿**وَالطُّورِ**﴾ ، وفى سورة النجم الآية (١) قوله: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾ ، وفى سورة التغابن الآية (٧) قوله : ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ ، وفى سورة القلم الآية (١) قوله: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ ، وفى سورة المدثر الآية (٣٢) قوله: ﴿**كَلاَّ وَالْقَمَرِ**﴾ ، وفى سورة المرسلات الآية (١) قوله:﴿**وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا**﴾ ، وفى سورة

---

(١) السيوطي : همع الهوامع ، ج٤ / ص٢٦٣ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ج٩/ص٩٣ – ٩٥ ، وانظر شرح الرضي علي الكافية تصحيح الشيخ يوسف حسن عمر، ج٤/ص٣٠٠ ط/منشورات جامعة قار يونس ت/١٩٧٨م .

(٣) الأنعام : الآية (٢٣) .

النازعات الآية (١) قوله:﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾ ، وفى سورة البروج الآية (١) قوله: ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ ، وفى سورة الطارق الآية (١) قوله: ﴿**وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ**﴾والآية (١١) قوله: ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ ، وفى سورة الفجرالآية (١) قوله: ﴿ **وَالْفَجْرِ**﴾ ، وفى سورة الشمس الآية (١) : ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ ، وفى سورة الليل الآية (١) قوله:﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾ ، وفى سورة الضحى الآية (١) قوله : ﴿**وَالضُّحَى**﴾ ، وفى سورة التين الآية (١) قوله : ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾ ، وفى سورة العاديات الآية (١) قوله : ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾ ، وفى سورة العصر الآية (١) قوله: ﴿**وَالْعَصْرِ**﴾ ، بالإضافة إلي آيتين غير متفق علي قسمية الواو فيهما وهي قوله تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ [١] وقوله ﴿**وَقَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ**﴾[٢] ففي الآية الأولي يمكن الرجوع إلى كتاب (النحو وكتب التفسير) [٣] لأنه أفضل من وناقش أراء النحويين حول قراءة حمزة وبعض القراءات الشاذة للنخعى وقتاده والأعمش[٤] بخفض (الأرحام) ، والتي تخالفها القاعدة النحوية التي تمنع عطف الظاهر علي المضمر المخفوض دون إعادة الجار ، هذه القاعدة التي التزمها البصريون فخّرجوا قراءه الخفض علي تقدير باء أخري أو الجر بواو القسم ، حيث جعلوا الواو للقسم لا للعطف ، والكوفيون جوزوا الجر دون إعادة الجار مع الكراهية ، كما أكد ذلك الدكتور إبراهيم رفيده من خلال تتبعه لأراء النحويين في هذا الموضوع ، وأما الثانية فقد قال فيها الفراء:(فالذي في موضع خفض:(وعلي الذي) وان أرادوا بقولهم:(والذي فطرنا) القسم بها، كانت خفضاً وكان صواباً ، كأنهم قالوا : لن نؤثرك والله) [٥] ، وعند أبي حيان[٦] أن الواو للعطف ، وذكر رأياً يقول : إنّها واو قسم ، وكذلك العكبري[٧] ذكر الوجهين مقدماً الأول .

ثالثاً التاء : –

---

(١) النساء : الآية /١ .

(٢) طه : الآية /٧٢ .

(٣) رفيده : النحو وكتب التفسير د. إبراهيم رفيده ج١/ص١٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، وج٢/ ص١١٩١ – ١١٩٣ ومواضع أخري في الجزءين، ط/ المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلام، ت/١٩٨٠م .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط لابي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان، ج٣/ص١٥٥ –١٥٦ ط/مكتبة ومطابع النصر الحديثة ،الرياض .السعودية .

(٥) الفراء : معاني القرآن لابى زكريا يحيي بن يزيد الفراء، ج٢/ص١٨٧ .ط/عالم الكتب ، بيروت .

(٦) أبو حيان : البحر المحيط ج٦/ص٢٦٢ .

(٧) العكبري : إملاء ما من به الرحمن في وجه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، ج٢/ص١٢٤ تحقيق الأستاذ إبراهيم عطوه عوض ط/ مكتبة ومطبعة مصطفي البابى الحلبي وأولاده ت/١٩٦١م .

التاء المفردة تكون محركة في أوائل الأسماء ومحركة في أواخرها ومحركة في أوائل الأفعال ومسكنه في أواخرها ، والمحركة في أوائل الأسماء هي حرف جر للقسم[١] وهناك من يقسمها تقسيماً آخر: للقسم وللخطاب ، وللتأنيث[٢] وقد أجمع جمهور النحاة علي أن تاء القسم مبدله من الواو[٣] وهناك من قال بخلاف ذلك ، فابن خالويه كما سبق يعتبر كل حروف القسم أصولاً ، وهذا أبو حيان يقول: (إنه شيء قاله كثير من النحاة ، ولا يقوم علي ذلك دليل ، وقد ردَ هذا القول السهيلي ، والذي يقتضيه النظرأنه ليس شيء منها أصلاً للآخر) [٤] وقد عللوا سبب الإبدال بقولهم إنها قد أبدلت منها كثيراً ، وضربوا أمثلة لذلك، فالتاء في اتَّقي مبدله من الواو في وقي ، وفي تراث مبدلة من الواو في وارث ، وفي تجاه مبدله في الواو في وجاه ، وكذلك تخمة ووخمه ، وتكله ووكله ، وإتعد ووعد...الخ ، حدث الإبدال لشبههما فى اتساع المخرج ، والتاء من الحروف المهموسة فناسب همسها حروف اللين[٥] .

وهي لا تجر إلا (الله) [٦] مثل قوله تعالي : ﴿**تَـٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَـىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ**﴾[٧] قال الرضي: (وحكي الأخفش تربي وتربَّ الكعبة وهو شاذ) [٨] وقال:(وشذ في الرحمن، ورب الكعبة ، وربي ، وحياتك – تالرحمن ، وترب الكعبة ، وتربيَ ، تحياتك) [٩].

---

(١) ابن هشام : المغني (أنواع التاء المفردة) ج١ / ص١١٥ – ١١٦ .

(٢) بلاج : سفينة النجاة لبلاج ج٤ – ص ١٩٧ – ١٩٨ . ط/المطبعة العمومية بالقاهرة ت/١٩٧٠ .

(٣) المبرد : المقتضب ج٢/ص ٣٢٠ ، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ج٩ /ص٩٩ ، والرضي : شرح الكافية ج٤ / ص٣٠٠ ، والعكبري : شرح اللمع ج٢/ص٥٦٩ .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ج٦ /ص٣٢١ – ٣٢٢ .

(٥) المبرد : المقتضب ج٢ / ص٣٢٠ ، انظر ابن يعيش : شرح المفصل ج٨ /ص ٣٤ ، وشرح الرضي : الكافية ج٤ /ص٣٠٠.

(٦) سيبويه : الكتاب ج١/ص٥٩ ، وانظر ابن هشام : المغني ج١/ص١١٥ .

(٧) النمل : الآية/ (٦٣) .

(٨) الرضي : شرح الكافية ج٤ /ص٣٠٠ .

(٩) السيوطي :همع الهوامع ج٤/ص٢٣٥ .

أما عن سبب اختصاصها بلفظ الجلالة ، فقالوا : لأنها فرع عن فرع أي أنها بدل من الواو ، والواو بدل من الباء ، ولكثرة الحلف بلفظ الجلالة خَصُّوه بهذا الحرف[١] وقد عملت في المُقْسَم به لأنها مختصة بالاسم ، وعملت الجر لأنَّها أوصلت القسم إلي المُقْسَم به ، كما يوصل حرف الجر الأفعال إلي الأسماء ، ولأنها بدل من عامل فعملت مثلما يعمل البدل[٢] .

ويمكن تلخيص ما جاء حول التاء في الآتي :-

١. قد تأتي بمعني التعجب- مثل قوله تعالي: ﴿**قَالُواْ تَاللهِ إِنَكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ**﴾[٣] أي قال: أولاد أولاده وأهله الذين عنده ، لأن أولاده لصلبه كانوا غائبين ، لفي ضلالك القديم: من ذكرك يوسف وشغفك به قالوا: ذلك تعجباً منه لأنهم كانوا يظنون أن يوسف قد مات[٤] ومثل قوله تعالي :﴿**وَتَاللهِ لأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ**﴾[٥] قال الزمخشري : (التاء فيها زيادة معني وهو التعجب ، كأنه تعجب من تسهل الكيد علي يده ، لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره) [٦].

٢. تكون للقسم غير الاستعطافي .

٣. مختصة بلفظ الجلالة -كالآيات السابقة مثل قوله تعالي : ﴿**تَاللهِ لَتُسْأَلُنَ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾[٧].

٤. لا يذكر معها فعل القسم – فكل الآيات التي وردت فيها تاء القسم لم يذكر فيها فعل القسم ، مثل قوله تعالي :﴿**قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا**﴾ [٨] .

٥. تحذف جاره بغير عوض قليلاً ، وبعوض كثيراً [٩] ولكن ليس هنالك دليل علي أن المحذوف التاء سواءً كانت بالتعويض أو بدون تعويض، غير أنهم حملوه علي باقي حروف القسم في هذا الحكم.

---

(١) انظر المراجع السابقة حول التاء .

(٢) الرماني : معاني الحروف لابى الحسن على بن عيسى الرمانى، ص٤١-٤٢، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى ، ط/ دار الشروق، جده، ت/١٩٨١م

(٣) يوسف : الآية (٩٥) .

(٤) الجمل : الفتوحات الآلهيه بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية د . سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، ج٢/ص٤٨١ ط / مطبعة عيسي البابي الحلبي بمصر .

(٥) الأنبياء : الآية (٥٧) .

(٦) الزمخشري : الكشاف ج٢/ص٥٧٦ .

(٧) النحل : الآية (٥٦) .

(٨) يوسف : الآية (٩١) .

(٩) ابن مالك الكافية الشافية ، ج٢/ص٨٦٥.

٦. ليست أصلاً في القسم بل بدلا من الواو ، وقد استدلوا علي بدليتها من الواو باتفاقهما في اتساع المخرج وتناسب همس (التاء) مع لين (الواو) ، وبأن (الواو) تدخل علي كل ظاهر و(التاء) مختصه بلفظ الجلالة وبكثره إبدال(التاء) من (الواو) في ألفاظ عديدة .

وإذا طبقنا القول بأن الاضمار يردَّ الأشياء إلي أصولها تكون (التاء) بدلاً من (الباء) وهذا لم يقل به أحد ، فلو قيل لك : اكنِ عن اسم الله في قولك : تالله لأفعلن، لقلت : به لأفلعن، وبالتالي لا يصح دليلاً لفرعية (الواو) عن(الباء) ولا دليل لأصالة (الباء) إلا اختصاصها بالجر، أما عن فرعية بقية الحروف عنها ، وعن بعضها من بعض فليس هناك ما يثبته قطعاً وأري أن الصواب اعتبار كل حرف مستقل بذاته ، وهذا ما ذهب إليه ابن خالويه ، والسهيلي ، وأبو حيان، كما سبق وأقوي هذه الحروف (الباء) وأكثرها استعمالاً (الواو) .

هذا وقد بلغت الآيات التي جاء فيها حرف القسم (التاء) طبقاً للإحصاء الذي أجريته(تسعه) آيات استشهدنا بأغلبها وهي: سورة يوسف الآية (٧٣) قوله تعالى :﴿**قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾ ، وفى الآية (٨٥)قوله : ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** ﴾ والآية (٩١) قوله: ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾، والآية (٩٥) قوله: ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**﴾ وفى سورة النحل الآية (٥٦) قوله:﴿**وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾ والآية (٦٣) وقوله:﴿ **تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...** ﴾ ، وفى سورة الأنبياء الآية (٥٧) قوله:﴿**وَتَاللّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾ وفى سورة الشعراء الآية (٥٦) قوله: ﴿ **تَاللّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ وفى سورة الصافات الآية (٥٦) قوله: ﴿**قَالَ تَاللّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ**﴾.